

تجارب فنية فريدة ومتميزة : " Shoes or no shoes " متحف عالمي خاص بأحذية الفنانين

ترجمة وإعداد : بوجمعة العوفي

Entrevue / Article réalisé par Peter de Potter :

Traduit en Arabe et enrichi par :

Boujema El Aoufi / Poète et critique d'art Marocain

قبل أن يتمكن الزوجان : " بيير بوغانيرتس Pierre Bogaerts " و " فيرل سوينترز Veerle Swenters " من رؤية مشروعهما الفني، الفريد والتميز ، يتحقق على أرض الواقع من خلال تشييد متحف عالمي أصبح يعرف باسم : " SONS " أو " Shoes or no shoes " ببلجيكا، والمختص في عرض أحذية خاصة ومستعملة لفنانين تشكيليين من مختلف دول العالم (تم الاشتغال عليها فنيا من خلال إضافة تلوينات وتشكيلات صباغية ومواد أخرى إليها - سواء ضمن طريقة عرضها بهاته الإضافات أو ضمن طريقة الكولاج أو " التنسيبات الفنية installations " - لتصبح أعمالا فنية ذات قيمة جمالية وتعبيرية)، كان الزوجان يشغلان من قبل متجر لتصليح الأحذية باسم " فن الأحذية Shoe-Art ". حيث كان هذا المتجر مختصا في إعادة تلبيس أو كساء الأحذية بثوب يختار الزبناء نوعه ولونه.

وفيما يلي ورقة تعريفية بهذا المشروع الفني الفريد والتميز عالميا، نقدمها للمهتمين بالفن وللقارئ العربي، من خلال إعدادنا (عبر إضافة العديد من المعلومات وتعريف الفنانين والأمكنة وأشكال التطعيم) وترجمتنا لمادة كتبها الفنان والكاتب البلجيكي " بيتر دو بوتير Peter de Potter " في مقالة له (على شكل حوار) عن تجربة الزوجين المبدعين (" بيير بوغانيرتس " و " فيرل سوينترز ")، صاحبي فكرة مشروع تلبيس الأحذية والمتحف، ونشرت بمجلة " Knack Weekend " الأسبوعية يوم الخامس من أبريل سنة 2000.

تقول " فيرل سوينترز " : " كل ما ننجزه عندنا هو بطريقة يدوية. إذ قمنا سابقا بإعادة كساء أو تلبيس أحذية بالفرو أو بنسيج يشبه فرو الحملان الصغيرة l'astrakan ، بحيث يجلب لنا الزبناء الراغبين في كساء بعض أحذيتهم المنزلية أو الخاصة بالحفلات أو غيرها ثوبا يختارونه بأنفسهم وحسب ذوقهم، ويكون في الغالب متناغم أو متناسب

اللون مع فستان زفاف أو مع فستان سهرة على سبيل المثال. وذلك - في نظري - بمثابة حل أمثل وعملي بالنسبة للذين لا يجدون أحيانا أحذية لأقدامهم".

ويعد " Shoe-Art " (فن الأحذية) بشكل مطلق المتجر الوحيد والفريد من نوعه الذي يقوم باستعمال وتوظيف فن من هذا النوع بمنطقة " Flandres " الفلامانية : فن يتطلب الكثير من الاحترافية وتقنية استخدام أصابع اليد والصبر كذلك، الشيء الذي يمنح - من دون شك - قيمة فنية للفكرة وللمشروع، ثم رواجاً باهراً لمنتجاته في نفس الوقت.

" أما الآن، وبعد نجاح الفكرة وتبلورها على الواقع كمشروع فني / إبداعي - يضيف " بيير بوغائيرتس " - فقد أصبحت مسألة تصليح الأحذية أمراً ثانوياً. بحيث أصبح لدينا زبناء من كل مكان، يأتون من عدة مناطق ودول. والكل بوسعه أن يأتي إلينا. لدينا زبناء من ألمانيا والدانمارك ومن اليابان كذلك. ونحن نقوم بنفس العمل، ونشتغل أو نتعامل بشكل منتظم - ضمن نفس الطريقة - مع الأحذية الخاصة لـ " بياتريكس Béatrix " : ملكة هولندا "

من هنا، تبدو الرؤية الفنية، ثم طريقة عرض الأحذية المكسوة بالأثواب الملونة، والتي يشتغل عليها كل من : " بيير بوغائيرتس " و " فيرل سوينترز " في متجرهما الفني شديدة التفرد والخصوصية. بحيث تجذب كل الأشياء المعروضة في واجهة المتجر انتباه المارة والزائرين. وتبدو النماذج المعروضة موضوعة بطريقة ممتعة أو حتى عبثية أحيانا. إذ " يتولد لدى الزائر انطباع أو إحساس بأنه ينظر إلى صالة في مسكن أو إلى فضاء في بيت خاص، أو أنه يشاهد عرضاً خاصاً برواق فني. والبرغم من لمستهما الإبداعية الملحوظة في اشتغالهما الفني على الأحذية - يضيف الكاتب والفنان البلجيكي " بيتر دو بوتير " بصدد تجربة الزوجين المبدعين - فإن غوايتهما الحقيقية تظل هي الفن المعاصر "

يقول " بيير بوغائيرتس " بصدد أصل الفكرة وبداية المشروع (مشروع المتجر والمتحف في نفس الوقت) : " كان أب زوجتي " فيرل سوينترز " يقوم بتصليح الأحذية. وبعد زواجنا قررنا الاستمرار في ممارسة نفس مهنته أو حرفته، بالرغم من أن زوجتي " فيرل " كانت تشتغل موظفة في مكتب بإحدى الإدارات، وأنا كنت أعمل مساعداً في أحد المختبرات. لكن مع مرور الزمن، وبعد سنوات عدة، أصبحنا بدورنا متخصصين في إعادة كساء وتلبيس الأحذية. إذ كانت هاته المهنة تمنحنا أكثر من متعة، لكن مع الاحتفاظ دائماً بعشقنا وإعجابنا لإنجازات الفن المعاصر وفتنته. كل شيء بدأ مع اقتنائنا لعمل فني منسوخ للرسام الهولندي " فان غوخ "، لكوننا لم نكن نتوفر - بطبيعة الحال - على الإمكانيات المادية لاقتناء عمل أصلي لهذا الرسام الشهير. من ثم تحديداً، بدأنا نفكر في كيفية إدماج عشقنا للفن مع ممارستنا لمهنتنا الجديدة. وكانت زوجتي " فيرل " هي من طرح الفكرة منذ أكثر من عشر سنوات. لماذا لا نتحول إلى جامعي أحذية فنانيين تشكيلييين من العالم كله ؟ "

" في البداية كنا شديدي الشك والارتياب تجاه الفكرة والمشروع - تحكي " فيرل " - وكانت أسرنا وأصدقائنا ينظرون إلينا أو يعتبروننا - على الأصح - مثل مجنونين. كانت لدينا علاقة ببعض الفنانين البلجيكين الذين اتصلنا بهم وتحدثنا معهم عن فكرة مشروعنا الذي نعلم به. ودون انتظار أو عكس ما توقعناه، لاقت فكرة مشروعنا استجابات طيبة وتجاوبا كبيرا من طرف هؤلاء الفنانين وغيرهم، الشيء الذي حفزنا على الشروع في تنفيذ المشروع وانطلاقته.

يضيف " بيير بوغانيرتس " قائلا : " بدأنا المشروع بإمكانات مادية ووسائل جد متواضعة : جهاز حاسوب بشاشة بالأسود والأبيض، وآلة طباعة تعمل بالكاد وهاتف. وعلى امتداد شهور عدة، كنا نشتغل ليل نهار ونجري مكالمات هاتفية ونبعث بفاكسات إلى العديد من الفنانين، مقدمين لهم بعض التوضيحات حول مشروعنا، ودائما من خلال توجيهنا نفس السؤال لهم : هل ترغبون في التخلي عن أحذيتكم المستعملة أو الجديدة ؟ حررنا الآلاف من الرسائل حول نفس الموضوع (تبتسم " فيرل "). لم يكن لنا أي اتصال حقيقي بعالم الفن، لكننا كنا قد أنجزنا لائحة بأسماء فنانينا المفضلين من خلال بحثنا ومراجعتنا للعديد من كاتالوجات صالونات الفن المعاصر ووثائق ومطبوعات أخرى تهتم بالفن. وهنا بوسعي أن أجزم لكم - انطلاقا من معرفتنا بالأسباب - بأن لا أحد يمارس الترحال ويغير مسكنه باستمرار أكثر من الفنانين. وخلال بضعة أشهر، توصلنا بردود الفعل المتجاوبة الأولى من العديد من الفنانين، وتوصلنا ببعض " أعمالهم الفنية " الأولى المتناسبة مع مشروعنا الخاص. يا له من إحساس رائع وممتع ! "

" كان من السهل جدا الاتصال ببعض الفنانين - يضيف " بيير " - مثل الفنان الأمريكي " كاينهولز Kienholz " على سبيل المثال، والذي تمكنا من مهاافته مباشرة. كنا نواجه أيضا - في اتصالاتنا هاته - بعض الطرائف أحيانا. اتصلنا بالفنانة التشكيلية الألمانية " إيزا جينسكن Isa Gensken "، ثم بعد ذلك ببضعة أشهر، وحسب لائحة صغيرة مرتبة ترتيبا أبجديا، اتصلنا أيضا بالفنان التشكيلي التجريدي " جيرار ريشتر Gerard Richter " الذي أخبرنا بأنه كان على علم بمشروعنا الفني ... "

تمكن " بيير بوغانيرتس " و " فيرل سوينترز " فيما بعد من الحصول على أحذية تسعمائة فنان من داخل بلجيكا وعبر العالم. وكان ما تم جمعه من أحذية لا يمثل ركاما من أحذية " السنيكرز sneakers " (أحذية رياضية تم تحويلها إلى استعمال حضرية)، ولا أحذية نصفية بأشرطة أو بأزرار، ولا حتى جزم بالية. أكثر من نصف الفنانين الذين أرسلوا لنا أحذيتهم أو سلموها لنا : منحوا لها نوعا من القيمة المضافة، وذلك من خلال قيامهم بنوع من التجميع أو الكولاج، أو ضمن إجراء أو تطبيق فني معين على هاته الأحذية، مما جعلها تتحول إلى أعمال فنية حقيقية، تمثل فعلا " أشياء مثيرة للمتعة الجمالية " .

" شيء لا يمكن تصديقه - يقول " بيير " : طلبنا من الفنانين أحذيتهم المستعملة، لكننا توصلنا مجانا بأعمال فنية. وحدث أيضا - على سبيل المثال - أن قام " كاينهولز Kienholz " بكتابة العبارة التالية على إرسالته : " زوجان من أحذيتنا المتوحشة " .

وكانت كل إرسالية أو كل عمل يرسله الفنانون لنا مرفقا بشهادة أو بوثيقة موقعة أو مرسومة، أو حتى برسمة مصاحبة، من قبل صاحب العمل تثبت أصالته. بعض الفنانين أرسلوا لنا وثيقة كاملة بحقوق الملكية أو التأليف. وكان ذلك - حسب علمي - شيئا فريدا في عالم الفن. كانت دهشتنا كبيرة في أن نرى فنانين بهذا المستوى يحققون أعمالا فنية بأنفسهم ، ويخصصون حيزا من وقتهم الثمين لينجزوا تحفا فنية صغيرة الحجم من أجل اثنين من مصلحي الأحذية مغمورين من مدينة " Anvers " البلجيكية. إن النجاح الذي حصدها - يضيف " بيير " موضحا - هو ربما بسبب فطنتنا أو بالنظر إلى سذاجتنا كذلك. نحن أناس بسطاء وعاديون، ونتعامل مع الفنانين بطريقة بسيطة وصادقة "

ظل الزوجان " بيير بوغائيرس " و " فيرل سوينترز " يتنقلان باستمرار من أجل الحصول على المزيد من الأعمال من أجل مشروعهما الفني، حيث قاما خلال السنوات العشر الأخيرة بزيارة حوالي ثلاثمائة ورشة عمل فني.

يقول " بيير " : " خلال إحدى زيارتي لمدينة " نيويورك "، حيث كان لي موعد مع الفنانين : " طوم ويسلمان Tom Wesselman " و " فيليب بيرلستين Philip Pearlstein "، أخذت خلال أسبوع كامل وقتي لزيارة فنانين تشكيليين آخرين معروفين. عدت إلى موطني ومعني تسعة وعشرون زوجا من أحذية الفنانين "

" الفنانون الإيطاليون أناس يتمتعون بحفاوة استقبال عالية - تحكي " فيرل " - كانوا يدعوننا أحيانا إلى موائدهم صحبة كل العائلة ". وكنا خلال جولاتنا نواجه أحيانا - وبطبيعة الحال - رفضا أو عدم استجابة من لدن بعض الفنانين لما كنا نرغب فيه من أجل المشروع. هل كان ذلك بسبب لا مبالاة وبرودة طبعنا، وتوجس هؤلاء الفنانين من مشروعنا، أم فقط - وبشكل بسيط بسبب - رفضهم التخلي عن أحذيتهم ؟ لكن الغريب في الأمر أن الرفض كان يأتي أساسا من طرف فنانين يقللون من قيمة الفكرة، مثل " Judd " أو " Serra ". وعلى العكس من ذلك، قبل كل من : " روبير مانغولد Robert Mangold " أو " لاورانس واينر Lawrence Weiner " المساهمة في المشروع.

أحيانا كنا نتوصل بإرساليات تحمل الكثير من المفاجآت ... إذ أرسلت لنا الفنانة " مارلين دوما Marlene Dumas " من جنوب إفريقيا صورة فوتوغرافية تظهر فيها قدمها حافيتين، وأضافت إلى الصورة الكلمات التالية : " لا أحب الأحذية، أفكر بشكل أفضل حين تكون قدمي حافيتين ". أعطانا الفنان " طوم أوتيميس Tom Ottemess " أحذية صغيرة الحجم جدا، ليست أكبر من قطعتين من الحلوى الملبسة. وجوابا على رسالتنا، توصلنا من " أون كاوارا On Kawara " بفاكس به العبارة التالية " أنا ما زلت على قيد الحياة ". وسلمنا " نيكولاوس لانغ Nicolaus Lang " فردة حذاء مغطاة بالطحالب، مثبتة على لوح حديدي، قمنا بعرضها في حديقتنا الخاصة، وكنا نقوم بسقيها بشكل منتظم ... لكن حذار من طائر الشحور ... ! "

يضيف " بيير بوغائيرس " موضحا : " لم نشأ وضع فوارق أو تمايزات بين مختلف الأنواع. إذ سيكون من باب الغرور الادعاء بأن بعض الأساليب الفنية لها قيمة

أكبر من غيرها. بالنسبة لنا : فإن زوجا من الأحذية أرسله لنا الفنان التشكيلي والنحات والمصور الفوتوغرافي الإنجليزي " ريشار لونج Richard Long " من أبعد أو أقصى مكان في قريته، والذي ضمنه العديد من الملاحظات والتدوينات : له نفس القيمة التي لحذاء فنان تشكيلي ونحات أمريكي مثل " جيمي دورهام Jimmie Durham "، هذا الأخير أعطانا زوجا من خفيه المنزليين Pantoufles موضيين ضمن عملية كولاج رائع ومدهش. وجوابا على السؤال : هل الأحذية المرسله من قبل مختلف الفنانين ينظر إليها فقط من باب أنها خضعت لعملية تزيين أم العكس ؟ يقول الزوجان " بيير " و " فيرل " : كل الأحذية يتم النظر إليها بمثابة قطع فنية حقيقية " . مع ذلك تظل أجوبتهما مرواغة وغامضة. يكتب " بيير دو بوتير " في نفس مقالته.

تقول " فيرل " : " ذلك واحد من الأسباب التي جعلتنا نقوم بتدشين المجموعة الفنية لمشروع أو لمتحف " Shoes or no Shoes " . وللمشاهد وزائر المتحف / المعرض أن يستخلص النتائج والأفكار والانطباعات والتأويلات الخاصة به. ولا أعتقد بأن الفنانين يعتبرون الأحذية بمثابة أعمال فنية، قطعاً ليس لليوم الراهن، لكن ربما يتغير هذا الاعتقاد فيما بعد، حين يقوم هؤلاء الفنانين بإعادة اكتشاف أعمالهم ؟ " .

لقد أصبحت المجموعة الفنية لـ " بيير بوغانيرتس " و " فيرل سوينترز "، المكونة من أحذية الفنانين تتنامى بشكل ملحوظ إلى يومنا هذا، وهي غالباً ما كنت موضوع عرض فني (ليس في بلجيكا مع الأسف)، لكن في دول أخرى مثل : هولندا وألمانيا وانجلترا. حيث كان كل عرض بهاته الدول يستقطب أكثر من عشرة آلاف زائر. لقد أصبح من الضروري التفكير في إقامة معرض آخر لهاته المجموعة الفنية في بلد أوربي آخر، لكن صاحبها لا يريدان التصريح حالياً بأي شيء فيما يخص هاته الفكرة. يقول " بيير بوغانيرتس " : " لم يتصل بنا أبداً أي طرف أو أية جهة من بلجيكا بخصوص عرض مجموعتنا الفنية. هل هذا راجع إلى نقص في الدعاية أم بسبب غياب الاهتمام بهذا المشروع ؟ مع العلم أننا كنا نبعث إلى هاته الجهات بإعلانات دعائية مرفقة بالمعلومات الضرورية حول المشروع. لكن ينبغي أن تفهموا بأننا لا نريد أن نروج لمجموعتنا الفنية. أظن بأنه ما زالت غير محببة بشكل كاف في الوقت الراهن. والعديد من الناس يعتبرونها بمثابة تقديس أعمى لأشياء الفنانين، أو هي شيء من باب تقليعات الموضة. ونحن واثقون من أن الجمهور الزائر بوسعه أن يحصل على المتعة والثقافة بمشاهدته لهذه المجموعة الفنية : إذ يكون دائماً أيضاً بوسع حذاء أن يكشف عن شخصية الفنان صاحبه " .

بالنسبة للزوجين : " بيير بوغانيرتس " و " فيرل سوينترز "، المرتبطين عاطفياً أشد الارتباط بمجموعتهما الفنية، فذلك يمثل ثمرة اشتغال لعمر بأكمله، وهي كذلك بمثابة " حرث لنوع من العشق "، وشكل من النشيد من أجل الفن، ومن أجل مهنتهما كذلك. إذ كان لكل إرسالية يتلقونها من الفنانين عبر العالم حكاية. وهما يتذكran واقعة توصلهما بكل حذاء – بالرغم من مرور أكثر من ثماني سنوات على ذلك – كما لو أن الأمر حصل البارحة فقط.

تقول " فيرل " : " اذكر لي اسم فنان، وأنا أستطيع رؤية أو التعرف على حذائه الخاص، والعكس من ذلك يكون أصعب بالنسبة لي. وكلما كنا نعد الأحذية للعرض، يحدث أن أسأل زوجي " بيير " : " لمن هو النموذج بقطرة صباغة وردية ؟ " .
ومنذ نشر هذا الحوار بمجلة " Knack Weekend " يوم الخامس من أبريل سنة 2000 - يكتب " بيير دو بوتر " في نفس مقالته - جرت الكثير من المياه تحت الجسر. وبمدينة " Kruishoutem " البلجيكية (قرب مدينة Gand) الساحرة والجميلة، تم تشييد متحف " Shoes or no shoes " لعرض المجموعة الفنية الكاملة للعموم. وقد تغيرت كذلك الكثير من الأمور في الحياة المهنية لـ " بيير بوغائيرتس " و " فيرل سويتنز " . إذ قاما بإغلاق متجرهما بمنطقة " Anvers " مع نهاية سنة 2001 وتكريس كل وقتها لغوايتهما وتخصصهما : إعادة تلبيس أو كساء الأحذية. عدا ذلك، ما زالا يعملان بشكل دائم ومستمر على تطوير وتنمية مشروع " SONS " الذي أصبح مجموعة فنية فريدة وذات إشعاع وشهرة عالمية.

ينبغي الإشارة كذلك - في نهاية هذه الورقة التعريفية - إلى أن متحف " Shoes or no Shoes " البلجيكي لم يقتصر - ضمن معروضاته ومجموعته الفنية الدائمة - على عرض الأحذية والملصقات والرسومات وغيرها من الإنجازات الفنية المرتبطة بها، بل أفرد جناحا خاصا للكتابات الشعرية والنثرية حول " ثيمتي " أو موضوعتي " الأحذية " و " القدمين "، مطبوعة على حوامل ورقية مؤطرة ببراويز، وموقعة من طرف كتابها، والتي يتم تحيينها وتطعيمها بنصوص جديدة من حين لآخر وكل سنة تقريبا. إذ يضم هذا الجناح إلى حدود بداية هذه السنة (2012) نصوص 159 كاتباً وشاعراً من مختلف دول العالم، وبجل اللغات الأساسية، بما في ذلك اللغة العربية.